

## الأدوار التسعة للدّرّين في حيَاتنا



<https://balagh.com>

### ١- تلبية حاجة الانسان إلى المطلقا:

ويمكن تلخيص هذا الدور بالقول: إنّ حاجة الانسان إلى المطلقا لا يمكن تأمينها إِلا من خلال الدين الحق القيّم الذي حمل الأنبياء رايته على مدى التاريخ، وتمثل في آخر رسالة جاء بها النبي محمد (ص)، في حين إنّ كلّ المدارس الماضية تقف عاجزة أمام هذا التطلّع الانساني إلى المطلقا، وغاية ما تفعله قلب النسيبيّ المحدود إلى مطلق، وهي محاولة يائسة وفاشلة ولا تُحقق الغرض المرجوّ منها.

### ٢- مبدأ الخلافة العامّة وتكرير الانسان:

شَرَّافٌ أَنْ تَعَالَى الْإِنْسَانُ بِأَنْ جَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَبِهَذِهِ الْخَلَافَةِ اسْتَحْقَّ أَنْ تَسْجُدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَدِينَ لَهُ كُلُّ قَوْيٍ كَوْنٍ بِالطَّاعَةِ، قَالَ تَعَالَى: (وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنَّـي آدَمَ وَجَمَـلَـا هُمْ

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقَنَاهُمْ مِنَ الطَّيْرِ بَاتٍ وَفَجْلًا نَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمْنَهُنَّ خَلَقْنَا تَفْصِيلًا (الإسراء / 70)، وهذا الشعور الداخلي بالعزّة كفيل بأن يرتفع بسلوك الإنسان إلى ما يتنااسب مع تشريفه بالخلافة وتكريمه وتفضيله على سائر الكائنات، فلا يتنازل عن هذا العرش لشهوته وأهوائه، يقول الإمام عليّ (ع): "مَنْ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ لَمْ يَهْنِهَا بِالْفَانِيَاتِ".

### 3- الاستئمان والرقابة الداخلية الدائمة:

إنّ معنى الاستئمان (إِنَّمَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) زرع رقيب داخل الإنسان يُراقب أفعاله وصفاته وسلوكيه إزاء الأمانة (المسؤولية الرّبانية)، ويدعوه إلى الإحسان بالواجب دائمًا وأبدًا، فالأمانة عهد والعهد هو المسؤولية، قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الَّذِي كَانَ مَسْؤُولاً) (الإسراء / 34)، وهذه الرقاقة إن لم تكن مضمونة، فهي أرضية خصبة للاستواء والتكميل والتسامي باتجاه الحق.

### 4- الدين يُحقق الهدایة المُثلی:

يتفرد الدين الحق بقدرته على إيصال البشرية إلى شاطئ السلام والأمان، والهدایة هي الوسيلة المضمونة للوصول إلى المطلوب، قال تعالى: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُهْدَى بَعْدَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي) (يونس / 35).

### 5- الدين يُحقق الرقاقة المستمرة للشهداء:

يقوم الأنبياء وأوصياؤهم المعصومون، بعد مهمّة الهدایة الرّبانية، بمهمّة الرقاقة والشهادة على أبناء مجتمعاتهم بتخويل إلهي، وهي خلافة خاصة يحمل فيها الخليفة واجب الرقاقة على أُمّته، قال تعالى: (يَوْمَ زَادَ عُوْكُلُّ أُزَمَّاسِ بِإِمَامِهِمْ) (الأنبياء / 73).

### 6- الدين يُحقق القدوة للحياة:

ويقوم الأنبياء وأوصياؤهم، وكلّ مَنْ يدعو بدعوتهم بإحسان أيضًا، بدور رياضي تركوي يضمن للسائلين على خطاهم سلامة السير وصحّة المسيرة، قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ بِهُدَاهُمْ أَقْتَدَهُمْ) (الأنعام / 90)، وقال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِنَا أَم-

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (الأحزاب / 21)، لاسيما وأنّ حاجة الإنسان إلى المثل الأعلى والقدوة الحسنة حاجة أساسية.

#### 7- الدّين يُحققّ الحياة الدائمة:

هذا الاستبدال للفاني (الدنيا) بالباقي (الآخرة) لا يقوم به إلا الدين الحق، ومن هنا كان الإيمان بالمعاد ركناً أساسياً في الشريعة الإسلامية.

#### 8- الدّين يُحققّ الشعور بالسعادة:

إنّ الاعتقاد السائد لدى أغلب شعوب الأرض أنّ هناك منقاداً يظهر عندما تتعقد الأمور وتعاطم المحنّة ويُطبّق الظلم، وهذا ما يشّرت به الأديان، بأن يكون للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض تحقق فيه رسالت السماء بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي، وتتجدد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها، وتُصفي فيه كلّ التناقضات، ويسود فيه الوئام والسلام، فهو يومٌ إنعطافٍ يُجدد الأمل في أنّ مسيرة البشرية سائرة نحو الارتقاء؛ فضلاً عن أنّ هذا الإيمان ليس مجرّد مصدر للسلوى والعزاء فحسب، بل مصدر عطاء وقوّة ودفع لا ينضب، لأنّه بصيص النور الذي يقاوم اليأس في نفس الإنسان.

#### 9- الدين يربط العبادة بالحياة ويُذوب الآنيات:

إنّ نظام العبادات يعالج حاجة ثابتة في حياة الإنسان، والعلاج بصيغة ثابتة يفترض أنّ الحاجة ثابتة، والدور الذي تمارسه العبادات في إشباع الحاجات الأساسية يتلخص بالآتي:

أ) الحاجة إلى الارتباط بالمطلق (وقد سبقت الإشارة إليه).

ب) الحاجة إلى الموضوعية في القصد وتجاوز الذات (وقد سبقت الإشارة أيضاً إلى قدرة الدين على نقل اهتمامات الإنسان الذاتية الضيقة إلى إهتمامات إنسانية أعلى سواء بالتعاون أو البذل أو الإحسان أو الدفاع عن حقوق الإنسان المضطهد... إلخ).

ت) الحاجة إلى الشعور الداخلي بالمسؤولية كضمان للتنفيذ (وسبقت الإشارة إلى أنّ الشعور الداخلي

بالمؤولية (الضمير) يحتاج لكي يكون واقعياً عملياً حياً إلى الإيمان برقاية مطلقة لا يغرب ولا يعزب عن عملها شيء، وإلى مران عملي ينمو من خلال هذا الشعور بتلك الرقاية الشاملة).

بهذه النظرية الكُلّيّة للدين، يتضح أنّ موقعه في حياتنا ليس موقع الهاشم الترفيّ، أو العقيدة النظرية المجرّدة، وإنما يُشكّل صُلب حياتنا، والضمانة الأكيدة للوصول إلى حياة أفضل وأرقى وأثري، وأنّ بِإمكان الإنسان أن يستغنى عن أشياء كثيرة؛ لكننا لا نجد في تاريخ الإنسان مَن استغنى عن حاجته الأساسية إلى الدين، على الرغم من كلّ المواقف السلبية من الدين لا كنظام حياة إلهيّ حكيم ومُحكم، بل نتيجة النفور من الممارسات الاستغلالية السيئة له.